صلى الله عليه وسلم قال إن مثل الذي يعمل السيئات مثل رجل كانت عليه درع
ضيقة خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة فانفكت
حلقة أخرى حتى يخرج إلى الأرض فلا يتخلص العبد من ضيق الذنوب
عليه وإحاطتها به إلا بالتوبة والعمل الصالح الرابع مما استعاذ منه
الذنب الذي لا يغفر ويدخل فيه شيئان أحدهما الشرك قال الله تعالى
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية الثاني
أن يعمل العبد ذنبا ولا يوفق لمحوه عنه بل يلقى الله من غير سبب
ماح له فلا يغفر له بل يعاقب عليه فإن الله تعالى إذا أحب عبدا أوقعه
في ذنب ثم وفقه لأسباب تمحوه عنه إما بالتوبة النصوح وإما
بحسنات ماحية أو بمصائب مكفرة وإما أن يغفر له بشفاعة
بإذن الله لمن يأذن الله فيها وإما أن يغفر له بمجرد فضله ورحمته من
غير سبب فحينئذ يكون هذا الذنب مغفورا قال بعضهم إذا أحب
الله عبدا لم يضره ذنب ومراده أن يمحوه عنه وربما يجعل الذنب
في حقه سببا لخوفه من ربه وذله وانكساره فيكون سببا لرفع
ذلك العبد عند الله تعالى وإذا خذل عبدا وقضى عليه بذنب لم يوفقه
لشيء من ذلك فلقي الله بذنبه من غير سبب يمحوه عنه في الدنيا
ثم يؤاخذ عليه ولا يغفر له فهذا هو الذنب المستعاذ منه ههنا
وحاصل الأمر أن من عامله الله في ذنوبه بالعدل هلك ومن عامله
بالفضل نجا وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم فاطر السموات والأرض
عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام إلخ هذا الدعاء
استفتحه صلى الله عليه وسلم بقوله يا ذا الجلال والإكرام وفي
المسند والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول
يا ذا الجلال والإكرام فقال استجيب لك فسل والمسؤول في هذا
أن العبد يعهد إلى ربه في هذه الدنيا ويشهده وكفى به شهيدا
أنه يشهد له بأصول الإيمان ويؤمن بها وهي الشهادة
بالوحدانية وأتباعها بالشهادة له بالملك والحمد والقدرة على
كل شيء والشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية والرسالة

والشهادة

والشهادة لله بأن وعده حق ولقاءه حق وأن الجنة حق والنار حق وأن
الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وقد تضمنت
هذه الشهادة أصول الإيمان الخمسة فإن من شهد لمحمد صلى الله عليه وسلم
بالرسالة فقد شهد بما أمر محمد بالشهادة به وهو أصول الإيمان كلها
وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقد وردت الأحاديث
بفضل من عهد إلى ربه في الدنيا هذا العهد واستشهده على نفسه بمثل
هذه الشهادة ففي سنن أبي داود من قال حين يصبح أو يمسي اللهم إني
أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك
أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك
أعتق الله ربعه من النار الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم وأشهد
أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى الضيعة وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا
برحمتك إلخ المقصود من ذلك سؤال العبد ربه عز وجل أن يتولاه برحمته
وفي كتاب اليوم والليلة للنسائي أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة ما يمنعك
أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم
أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين وخرج أبو داود والنسائي عن
النبي صلى الله عليه وسلم دعوة المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي
طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت فإذا وفق الله عبدا توكل
بحفظه وهدايته وإرشاده وتسديده وإذا خذله وكله إلى نفسه ومن
حقق التوكل على الله لم يكله إلى غيره وتولاه بنفسه وحقيقة التوكل تكلة
الأمور كلها إلى من هي بيده فمن توكل على الله في هدايته وحراسته ورزقه
وغير ذلك من مصالح دينه ودنياه تولى الله مصالحه كلها وهذا معنى
حقيقة الوثوق برحمة الله تعالى كما في هذا الدعاء لا أثق إلا برحمتك فمن
وثق في توفيقه وتسديده فاز بكل الغنى وأفلح وفي هذا الحديث وصف
النفس بأوصاف ذميمة كل ذلك حذرا منه أن يوكل العبد إليها هذه صفاته
وهي أربعة أوصاف الضيعة والعورة والذنب والخطيئة فالضيعة هي
الضياع فمن وكل إلى نفسه ضاع لأنها لا تدعو إلى رشد والعورة ستر
القبيح ودناءة النفس لقبح أوصافها وسعة خلاقها الذميمة والذنب

Copyright © King Saud University